الجاهلية ، وكذلك كانت المثل العليا فى نظر الشعراء . وقصيدة الأعشى فى المحلّق مشهورة ، ولو أنه لم يكن فى الأمراء أو الوزراء ، لكنه وصفه كذلك ووضعه فى مصافهم ورتبّهم .

والحطيئة مدح الزبرقان بن بدر فخصّه بكثير من شعره ، ورأى فى آل لأى سادة نجباء ، يردّون على الجار ما يفقد ، ويعطونه حين يعطب ، وينقذونه من الهلكة والتلف ، ولا يظهرون الامتنان عليه ، فيقول فيهم :

سِيرى أمام فإنَّ الأكثرين حَصًى ... والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قوْمٌ هُمُ الأنْفُ والأذْنَابُ غَيْرُهم ... ومن يُسَوّى بأنف الناقة الذنبا
قوم يبيت قرير العين جارهم ... إذا لوى بقوى أطنابهم طنبا (١)

فهم أكثر الناس عدداً وأكرمهم أباً ، فى الذروة من السمعة والعزة ، يعيش جارهم قرير العين موفور الكرامة مكفى المئونة ، وهذه أخلاق جاهلية كلها ؛ وكذلك مدحه فى آل شماس ، يتناول القبيلة كلها فيرى أنهم ينعمون ولا يكدرون نعمتهم بالمنّ والذكر ، شجعان مطاعين ، والحطيئة يمدح على طريق البداوة ، فيرسم القوم والقبيلة وهو يمدح الرئيس والوجيه ؛ ويفصح عن عاطفة العرفان بالجميل ، فيشكر العطاء ويثنى على المال واليد ، فقد انتشلوه من فقر وحاجة .

ومدَحَ الفرزدقُ كثيراً من العمال والولاة والوجهاء فى العهد الأموى فنظر إليهم نظرة الشعراء الجاهليين ، فأثنى على الشجاعة والكرم وأصالة النسب . وقال فى بلال إن كفيه كالحيا تسقيان الأرض ، وإن العيس تسعى إليه كما يسعى البشر ، وإنه كريم :

فكم من عدوّ يا بلالُ خَسَأْتَهُ ... فأغْضَتْ له عَيْنٌ على ما يريبُها
رأيتُ بلالًا يشترى بتلاده ... مكارم أخلاق عظام رغيبها

(١) لوى : شد وعقد .